



عمران
للداسات الاستراتيجية
OMRAN
Strategic Studies



نظرة بانورامية حول واقع منظمات المجتمع المدني بُعيد سقوط الأسد

حلا حاج علي
تقرير

مركز عمران للدراسات الاستراتيجية

مؤسسة بحثية مستقلة، تهدف لدور رائد في البناء العلمي والمعرفي لسورية والمنطقة دولةً ومجتمعاً، وترقى لتكون مرجعاً لترشيد السياسات ورسم الاستراتيجيات.

تأسس المركز في تشرين الثاني/نوفمبر 2013، كمؤسسة أبحاث تسعى لأن تكون مرجعاً أساساً ورافداً في القضية السورية، ضمن مجالات السياسة والتنمية والاقتصاد والحوكمة المحليّة. يُصدر المركز دراسات وأوراقاً منهجية تساند المسيرة العمليّة للمؤسسات المهتمة بالمستقبل السوري، وتدعم آليات اتخاذ القرار، وتتفاعل عبر منصات متخصصة لتحقيق التكامل المعلوماتي والتحليلي ورسم خارطة المشهد.

تعتمد مُخرجات المركز على تحليل الواقع بأبعاده المركّبة، بشكل يَنُتج عنه تفكيك الإشكاليات وتحديد الاحتياجات والتطلعات، ممّا يمكّن من المساهمة في وضع الخطط وترشيد السياسات لدى الفاعلين وصُنّاع القرار.

الموقع الإلكتروني www.OmranDirasat.org

البريد الإلكتروني info@OmranDirasat.org

تاريخ الإصدار: 26 كانون الأول/ ديسمبر 2024

جميع الحقوق محفوظة © مركز عمران للدراسات الاستراتيجية

أحد برامج المنتدى السوري



مدخل

يلقي هذا التقرير نظرة سريعة على التحولات التي يشهدها المجتمع المدني في سورية بعد تحرير المدن الرئيسية، ويستعرض دور المنظمات المحلية والدولية في تقديم الإغاثة وضمان استدامة الخدمات وسط تحديات إنسانية معقدة. ويركز على التفاوت في استجابات المنظمات بين المناطق المختلفة والعقبات التي تواجهها، بما في ذلك نقص التمويل وصعوبات التنسيق، مما يجعل المرحلة الراهنة اختباراً حقيقياً لقدرة المجتمع المدني على تلبية الاحتياجات العاجلة للمجتمعات المحلية⁽¹⁾.

المجتمع المدني عشية سقوط الأسد: أسير التحكم والاستحواذ والفساد

منذ عملية ردع العدوان وحتى التحرير كانت العمليات العسكرية - من إدلب إلى حلب وحماة - تجري بوتيرة متسارعة، مع تناغم واستجابة فورية من منظمات المجتمع المدني التي تعمل منذ أكثر من عشر سنوات في مناطق شمال غرب سورية. وما إن تتحرر المدن حتى تدخلها قوات ضبط أمني، وتباشر المنظمات نشاطها بمخزون إغاثي موجود مسبقاً، ضمن خطط التمويل السابقة. استفادت هذه المنظمات من خبرتها المتراكمة خلال السنوات الماضية في تنظيم عملها المشترك، خاصة خلال الأزمات الكبرى، مثل القصف المستمر وحركات النزوح الجماعي، مروراً بأزمة زلزال فبراير 2023، وأزمة العائدين السوريين من لبنان. كما أسهمت الدورات التأهيلية المتواصلة في تطوير الكوادر البشرية، ما جعل القطاع المدني أحد القطاعات الأكثر نشاطاً في تلك المناطق.

أما في مناطق النظام السابق فقد كانت المنظمات والجمعيات متمركزة تحت إشراف وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل، التي اتسمت بالبيروقراطية واستنزفت الكوادر البشرية من خلال صبغتها الوظيفية التقليدية. كما ابتلعت شبكات الفساد البعد الإنساني للمجتمع المدني، مثل "الأمانة السورية للتنمية"، التي عملت في الظاهر على الحماية والإغاثة، لكنها في المضمون كانت أداة أمنية.

استندت الدولة إلى قانون الجمعيات لعام 1958 (القانون رقم 39 وتعديلاته لعام 1969)، الذي منحها سيطرة كاملة على المجتمع ومؤسساته. من أبرز قرارات هذا القانون دمج الجمعيات ذات الأنشطة المتشابهة في إطار واحد، مما قيد حرية تأسيس جمعيات جديدة، رغم وجود مناطق جغرافية غير مغطاة. ومنح القانون الدولة الحق في حل الجمعيات دون اللجوء إلى القضاء، مما أتاح المجال لحلها تحت ذرائع مثل "تهديد أمن الدولة"، بناءً على ضغوط من وزارة الشؤون الاجتماعية بالتعاون مع الأجهزة الأمنية والعسكرية عند دراسة طلبات الترشح. كما فرضت الوزارة شروطاً مشددة على مراقبة وتشبيك الجمعيات المحلية بمصادر التمويل الخارجية والداخلية، ما جعل العمل المدني خاضعاً بالكامل لسيطرة السلطة. بالإضافة إلى ذلك، صدرت قوانين أخرى للهيمنة على العمل المدني، مثل القانون رقم 33 لعام 1975، الذي منح الاتحادات

⁽¹⁾ يستند هذا التقرير على منهجية علمية تركز على الملاحظة المباشرة، ورصد الفعاليات والأنشطة الموثقة على المعارف الرسمية للمنظمات. كما يشمل تحليل البيانات والتصريحات الرسمية الصادرة محلياً ودولياً، والمتعلقة بالدعم والاستجابة خلال الأيام الأولى من التحرير.

العامّة - كالاتحاد العام النسائي واتحاد العمال - حق احتكار الأنشطة الخاصة بمجالاتها. فعلى سبيل المثال، يحظر القانون تشكيل أي جمعية تُعنى بشؤون المرأة خارج مظلة الاتحاد العام النسائي، باعتبار ذلك انتهاكاً لأحكامه⁽²⁾.

احتكرت شبكات الفساد أيضاً فرص الحصول على الدورات والتأهيل المهني، فأصبحت هذه الفرص حكراً على المقربين من إدارات المنظمات. كما ضيّقت فرص العمل الإنساني من خلال آليات توظيف تعتمد على الوساطات والعلاقات الشخصية مع المسؤولين والضباط. منذ عام 2011 استمر المجتمع المدني في مناطق النظام السابق في العمل بالنمط نفسه خلال كل أزمة إنسانية، رغم شح الموارد وضعف البنية المؤسسية للمنظمات والجمعيات.

وجدت سلطة دمشق نفسها في وضع إنساني متأزم بسبب بُعدها عن مناطق نشاط المنظمات المدنية، بالإضافة إلى غياب المنظمات الدولية ببرامج مستقلة عن الجمعيات المحلية، التي كانت خاضعة لسيطرة السلطة. ولم تتمكن الجمعيات المحلية من الانتقال بسرعة من خدمة النظام الحاكم إلى خدمة الشعب السوري، كما أن المخازن والمستودعات كانت شبه خالية نتيجة الاستنزاف المستمر للمساعدات وسرقة المعونات وبيعها في الأسواق. وغياب آليات المراقبة والتقييم زاد من تفاقم هذه الأزمة، ما جعل الوضع الإنساني أكثر هشاشة.

توزع المنظمات والجمعيات في مناطق النظام السابق (جغرافياً - قطاعياً)

بحسب تقديرات "الأوتشا" التي وثّقت الجمعيات والمنظمات العاملة تحت سلطة الحكومة السابقة، يوجد حوالي 120 منظمة تعمل في جميع المحافظات التي كانت تحت سيطرة "النظام السابق" حتى بداية عملية ردع العدوان. وتتضمن:

- مكاتب للأمم المتحدة وعددها 7، مثل صندوق السكان الإنمائي، واليونيسيف، ومنظمة الصحة العالمية، ومنظمة الأغذية العالمية.
- منظمات دولية وعددها 7، منها المجلس الدنماركي للاجئين، والمجلس النرويجي للاجئين، ومنظمة الآغا خان.
- جمعيات سورية محلية وعددها 70، من بينها الأمانة السورية للتنمية ومنظمة الهلال الأحمر السوري.
- هيئات ومؤسسات خدمية تابعة لوزارات الدولة وعددها 8، تولت تنفيذ مشاريع المنظمات، ومنها وزارات الصحة، والتربية والتعليم، والتعليم العالي، والموارد المائية، مع إشراف دائم من وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل، وهيئة شؤون الأسرة.

توزعت تغطية المنظمات حسب القطاعات كالتالي:

تعايف مبكر	التعليم	الأمن الغذائي	التغذية والأمومة	الحماية	الصحة	الإصحاح	المواد غير الغذائية	المأوى	مساعدات نقدية
15	36	26	28	53	45	19	30	4	4

جدول رقم (1): تغطية المنظمات حسب القطاعات

(2) لا مجال لتنفس القطاع الحكومي، النشاط في مجال حقوق الإنسان في سورية، لجنة حقوق الإنسان، أكتوبر 2007، ص 16-22.

صنفت حكومة نظام الأسد المنظمات التي تنفذ دورات تأهيل مهني ضمن فئة المنظمات العاملة في مجال "التعافي الاقتصادي المبكر"، في خطوة تهدف إلى الاستفادة من صندوق إعادة الإعمار. على سبيل المثال، البرامج التي كانت تُنفذ منذ وجود المفوضية العليا لشؤون اللاجئين قبل عام 2011، والتي كانت تُعرف سابقاً كبرامج حماية، أُعيد تصنيفها لاحقاً لتُدرج ضمن مشاريع التعافي المبكر.

كما اعتمدت الحكومة على جمعيات مدعومة كنسياً، مثل "بطيركية أنطاكية وسائر المشرق للروم الأرثوذكس"⁽³⁾، التي لم تكن تُعرف رسمياً ببرامجها على أنها تعافٍ مبكر، بل كانت تُدرج تحت مسمى "برامج سبل العيش". ومع ذلك، قدّمها نظام الأسد على أنها جزء من مشاريع التعافي المبكر⁽⁴⁾. إضافة إلى ذلك، شملت هذه الجهود مؤسسات مثل "قرى الأطفال"، التي ركزت برامجها على حماية الأطفال وتعليمهم. ومع ذلك تم دمج برامجها ضمن مشاريع التعافي المبكر، في محاولة لتعزيز فرصها بالحصول على دعم مالي إضافي عبر هذا التصنيف.

توزعت تغطية المنظمات حسب المحافظات كالتالي⁽⁵⁾:

اسم المحافظة												نوع المنظمة	
القنيطرة	الرقّة	الحسكة	طرطوس	السويداء	درعا	إدلب	اللاذقية	حمّاه	حمص	ريف دمشق	دمشق		حلب
6	5	7	7	7	8	1	7	8	8	8	6	10	مكاتب أمم متحدة
2	3	2	7	3	9	3	15	17	10	20	6	23	منظمات دولية
5	7	14	4	5	5	5	12	9	11	16	12	19	منظمات محلية
1	1	1	1	1	1	1	1	2	1	2	2	2	هلال أحمر

جدول رقم (2): تغطية المنظمات حسب المحافظات

سجلت "الأوتشا"، المسؤولة عن تنسيق المعلومات الإنسانية، وجود 15 منظمة في مناطق عفرين، الباب، إعزاز، والدانا. لكن اللافت أن العديد من هذه المنظمات لم تكن موجودة فعلياً على الأرض، مثل: "الهلال الأحمر السوري"، و"الجمعية الملائكية لأنيس سعادة"، و"جمعية الرجاء للمعاقين وكبار السن"، و"جمعية البتول"، و"شباب دمر"، و"بطيركية الروم الأرثوذكس"، و"مؤسسة إحسان الخيرية"، و"الجمعية السورية لتنظيم الأسرة".

⁽³⁾ دائرة العلاقات المسكونية والتنمية، بطيركية أنطاكية للروم الأرثوذكس، منشور على فيس بوك، تاريخ النشر 9 نوفمبر 2024، تاريخ المعاينة 21 كانون الأول، 2024. <https://2u.pw/G50CSZzt>

⁽⁴⁾ SYRIAN ARAB REPUBLIC, UNOCHA Syria Hup, 10-2024, <https://2u.pw/puWaf7mj>.

⁽⁵⁾ الأوتشا، المنظمات الفاعلة حتى شهر تشرين الثاني 2024، <https://2u.pw/puWaf7mj>.

بعد تحرير حلب: سرعة الاستجابة

مع بداية تحرير مدينة حلب، سارعت المنظمات إلى دخول المناطق فوراً بعد انتهاء العمليات العسكرية وخلو المدن من المعارك. على سبيل المثال، دخلت منظمات شمال غرب، مثل "إحسان"، و"بنفسج"، و"بنيان"، وغيرها من المنظمات العاملة في مجالات الإغاثة، بالإضافة إلى منظمات طبية مثل "سامز" والدفاع المدني، التي قدمت خدمات طبية إسعافية. تميزت المناطق المحررة الأولى بسرعة الاستجابة، وتم التركيز فوراً على استدامة الخدمات. وعملت فرق الدفاع المدني والمنظمات على إعادة افتتاح الأفران والمحلات التجارية، بينما شجعت غرفة العمليات العسكرية السكان على استئناف أعمالهم. في الوقت نفسه، تولت وزارة التنمية التابعة لحكومة الإنقاذ مسؤولية توزيع المنظمات حسب المناطق، مع إجراء عمليات رصد سريعة للاحتياجات، مما ساهم في تنظيم توزيع الإغاثة ومنع العشوائية.

اختفت الجمعيات والمنظمات التابعة لوزارة الشؤون الاجتماعية عن المشهد في حلب حتى وصول قوات ردع العدوان إلى مشارف دمشق. ورغم رصد ما يقارب 50 منظمة محلية في حلب، مثل "جمعية الرجاء لذوي الإعاقة"، و"جمعية البر والإحسان الخيرية"، و"جمعية بكرأ أحلى للتنمية"، و"البيطريكية اليونانية الأرثوذكسية"، و"جمعية تنظيم الأسرة"، فإن نشاطها كان محدوداً. لم تبدأ هذه الجمعيات العمل إلا بعد تحرير دمشق، فقد أعادت بعض المنظمات فتح خدماتها الطبية، حتى العاجلة منها، مثل "جمعية البر والإحسان الخيرية في حلب"⁽⁶⁾.

بعض الجمعيات انتظرت تحرير كامل سورية قبل أن تعاود نشاطها بالحد الأدنى من خلال إكمال مشاريع كانت قائمة عليها مسبقاً، دون تجديد الاحتياجات، مثل منظمة "DOOR"⁽⁷⁾. كما علّقت منظمات دولية، كانت شريكة مع صندوق الأمم المتحدة، نشاطاتها حتى إشعار آخر، مثل "منظمة المعهد الأوروبي للتعاون والتنمية"⁽⁸⁾. وكان الدافع وراء هذا التأخير ارتباط هذه الجمعيات بشكل مركزي بالوزارة، وعجزها عن العمل باستقلالية إلا ضمن الأوامر والتعميمات الصادرة عن الوزارات. كما أن بعضها كان مرتبطاً بشكل مباشر أو غير مباشر بـ"الأمانة السورية للتنمية"، التي شهدت نشاطاً كثيفاً في حلب خلال السنوات الأخيرة. وأقدمت "الأمانة السورية للتنمية" على حذف صفحتها الرسمية على فيسبوك، مما أدى إلى مسح تاريخها المؤرشف الذي يوثق دعمها للنظام السابق وتمويله. لاحقاً، اختفت "الأمانة" عن الساحة كمكاتب وموظفين وملتصقين.

بعد تحرير دمشق: التحفظ سيد الموقف

كان الوضع في دمشق أسوأ مقارنة ببقية المحافظات لتوفر الخدمات والإغاثة. واعتمدت السلطة سياسات ممنهجة لإذلال السكان وتجاهل احتياجاتهم ومعاناتهم مع الفقر. ورغم ذلك، كان هناك عدد قليل من المنظمات ذات المشاريع والبرامج الدائمة، وبلغ عددها 70 منظمة مسجلة وعاملة في المدينة وريفها، وفق بيانات مكتب الأمم المتحدة.

⁽⁶⁾ جمعية البر والإحسان الخيرية، منشور على فيس بوك، تاريخ النشر 2024-12-18، تاريخ المعاينة 2024-12-21، <https://2u.pw/Xya7Nblb>.

⁽⁷⁾ منظمة دور، إعلان استقطاب، منشور على فيس بوك، ن شر بتاريخ 2024-12-18، تمت معاينته بتاريخ 2024-12-21، <https://2u.pw/ZYyoYcRA>.

⁽⁸⁾ منظمة المعهد الأوروبي للتعاون والتنمية، منشور على فيس بوك، تاريخ النشر 2024-12-1، تاريخ المعاينة 2024-12-22، <https://2u.pw/6eWQmG6g>.

يوضح الجدول أدناه بعض المنظمات العاملة في دمشق حتى نهاية شهر تشرين الثاني 2024⁽⁹⁾:

منظمات تتبع للأمم المتحدة	منظمات دولية	منظمات محلية
صندوق الأمم المتحدة للسكان	جمعية متطوعي الخدمة الدولية	جمعية حقوق الطفل
مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين	كاريتاس	جمعية شباب دمر
منظمة الأمم المتحدة للطفولة	منظمة المساعدات التابعة للكنيسة البروتستانتية	مركز التنمية البطريكي مار أفرام
وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين	الهيئة الطبية الدولية	كاريتاس سورية
برنامج الأغذية العالمي	المساعدات الشعبية النرويجية	مؤسسة تطوير التعليم
منظمة الصحة العالمية	منظمة الطوارئ الدولية	بطريكية الروم الأرثوذكس لسائر المشرق
	الهلال الأحمر السوري	مؤسسة النور للإغاثة والتنمية
	الهلال الأحمر الفلسطيني	الجمعية السورية لتنظيم الأسرة
		قرى الأطفال السورية
		الصندوق السوري للتنمية
		الأمانة السورية للتنمية
		جمعية التميز لكفالة اليتيم

جدول رقم (3): المنظمات العاملة في دمشق حتى تشرين الثاني 2024

إلى جانب هذه المنظمات، هناك جمعيات ومنظمات أخرى لم تُسجّل ضمن قوائم مكتب الأمم المتحدة، ويزيد عددها عن 150 منظمة وجمعية محلية ومبادرة تطوعية برعاية منظمات محلية. اختلفت مواقف هذه الجمعيات في التفاعل مع الأحداث الجارية، إذ فضّلت بعض الجمعيات الصمت تجاه ما حدث، حتى بعد تحرير دمشق بأسبوع، على سبيل المثال، "اتحاد الجمعيات الخيرية بدمشق"، الذي ينضوي تحت مظلته عدد من الجمعيات الخاضعة لوزارة الشؤون الاجتماعية، اكتفى بنشر أخبار عن اجتماعاته مع وزارة التنمية التابعة لحكومة الإنقاذ دون أن يكون له دور ملموس على الأرض حتى تاريخ 17 كانون الأول⁽¹⁰⁾. كذلك كان موقف "بصمة شباب سورية"، وهي مجموعة شبابية منظمة كانت تدعم قوات الدفاع الوطني والجيش السوري من خلال حملات تبرعات لعائلات الجنود في جميع المحافظات السورية⁽¹¹⁾، وقد حذفت مؤخراً المنشورات التي توثق دعمها السابق للعمليات العسكرية التي نفذها الجيش السوري للنظام المخلوع، واكتفت بنشر بيانات على صفحتها حول إدارة العمليات العسكرية منذ لحظة تحرير دمشق، دون أن تعاود نشاطها على الأرض⁽¹²⁾.

من جهة أخرى، أبدت بعض الجمعيات مواقف صريحة منذ يوم تحرير دمشق، وقدمت تهانها علناً، وطلبت مساعدات وتبرعات أهلية للاستمرار في عملها. على سبيل المثال، "الجمعية الخيرية لإغاثة المحتاجين بدوما"⁽¹³⁾. بينما نفذت جمعيات أخرى، مثل "جمعية ارتقاء التنمية الخيرية"، حملات نظافة للمدن، معتمدة على فرق شبابية لتنظيف الشوارع في ظل توقف خدمات البلدية وتعطل الموظفين عن العمل⁽¹⁴⁾. كما عملت بعض الجمعيات منذ تحرير دمشق على توزيع سلال

⁽⁹⁾ الأوتشا، المنظمات الفاعلة حتى شهر تشرين الثاني 2024، <https://2u.pw/puWaf7mj>.

⁽¹⁰⁾ اتحاد الجمعيات الخيرية بدمشق -صندوق العافية، منشور على فيس بوك، تاريخ النشر 2024-12-15، تاريخ المعاينة: 2024-12-22، <https://2u.pw/rGNZSsI0>.

⁽¹¹⁾ ايفانا ديوب: "من فعاليات بصمة شباب سورية في محافظات الوطن"، سيريا ديلي، 2014-8-9، <https://2u.pw/jpKTX7no>.

⁽¹²⁾ بصمة شباب سورية، منشور على فيس بوك، تاريخ النشر 2024-12-8، تاريخ المعاينة 2024-12-22، <https://2u.pw/OyWbVQmp>.

⁽¹³⁾ الجمعية الخيرية لإغاثة الملهوف بدوما، منشور على فيس بوك، تاريخ النشر، 2024-12-16، تاريخ المعاينة 2024-12-22، <https://2u.pw/2kfWPBIK>.

⁽¹⁴⁾ جمعية ارتقاء التنمية الخيرية، منشور على فيس بوك، تاريخ النشر 2024-12-10، تاريخ المعاينة 2024-12-22، <https://2u.pw/XNVXZSFG>.

إغاثية بالتعاون مع منظمات من شمال غرب سورية. على سبيل المثال، كان هناك تنسيق بين "منظمة المنتدى السوري" و"جمعية الندى"⁽¹⁵⁾. في المقابل، استمر قسم آخر من الجمعيات في تقديم خدماتها الطبية وفتح عياداتها مجاناً منذ يوم تحرير دمشق، مثل "جمعية الشباب الخيرية"⁽¹⁶⁾.

الاستجابات الدولية: استعدادات والتزامات

تفاعلت مجموعة من الدول والمنظمات الدولية مع التطورات في المشهد الإنساني، وأبدت مواقف داعمة للمتطلبات الإنسانية والاستقرار، نذكر منها:

- الأوتشا: أكدت خلال اجتماعها مع المنظمات السورية المحلية على استمرار الدعم الإنساني والتنموي وضرورة الوصول إلى كل المناطق سواء عبر الحدود أو عبر خطوط التماس، مع أهمية التخفيف من البيروقراطية وتحديد خارطة طريق للانتقال التدريجي. كما أنشأ المكتب مجموعات العمل لكل منطقة لتحسين آلية التنسيق بما في ذلك الموافقة على تأسيس مجموعة عمل لتقييم الاحتياجات.
- بريطانيا: التزمت بإرسال 50 مليون جنيه إسترليني لدعم سورية، مع التركيز على برامج حقوق الإنسان، مع تأكيدها على أهمية "بيان العقبة"⁽¹⁷⁾.
- منظمة أوكسفام: أوقفت مؤقتاً جميع برامجها في سورية بسبب التصعيد والتغيرات الميدانية. ومع ذلك، أكدت التزامها باستئناف العمل لدعم السوريين الأكثر عرضة للخطر فور وضوح سبل الوصول وضمان سلامة موظفيها وشركائها⁽¹⁸⁾.
- بيدرسون: خلال اجتماعه مع الحكومة المؤقتة في دمشق، شدد على ضرورة تقديم مساعدات لدعم الخدمات الأساسية ومشاريع التعافي المبكر⁽¹⁹⁾.
- قطر الخيرية: أرسلت 40 شاحنة كدفعة أولى من المساعدات، تضمنت دقيقاً، وسلالاً غذائية، ومواد غير غذائية، ومستلزمات طبية. وبلغت التكلفة الإجمالية لهذه المساعدات حوالي 4.5 مليون ريال قطري⁽²⁰⁾.
- منظمة هالوتراست لإزالة الألغام: حذرت المنظمة في تقريرها من الحاجة الماسة إلى جهود دولية لإزالة ملايين الألغام الأرضية والذخائر غير المنفجرة. وأشار "داميان أوبراين"، مدير برنامج المنظمة في سورية، إلى أن الألغام تشكل خطراً

⁽¹⁵⁾ جمعية الندى، منشور على فيس بوك، تاريخ النشر 2024-12-17، تاريخ المعاينة 2024-12-22 <https://2u.pw/kjNF75oT>.

⁽¹⁶⁾ جمعية الشباب الخيرية، منشور على فيس بوك، تاريخ النشر، 2024-12-8، تاريخ المعاينة 2024-12-22 <https://2u.pw/IPFHxEma>.

⁽¹⁷⁾ المملكة المتحدة تقديم دعم جديد لمساعدة السوريين، الخارجية البريطانية، بيان صحفي، 2024-12-15، <https://2u.pw/BiOVALLS>.

⁽¹⁸⁾ Oxfam is committed to recommence aid delivery to Syrians as soon as the situation allows Oxfam، 2024-12-9، <https://2u.pw/KiGaZoQS>.

⁽¹⁹⁾ نص كلمة المبعوث الخاص للأمم المتحدة إلى سورية جير بيدرسن، الأمم المتحدة، 2024-12-15، <https://2u.pw/TBhSLM8e>.

⁽²⁰⁾ As part of its "Reviving Hope" campaign: Qatar Charity Sends Urgent Humanitarian Aid Convoy to the Syrian People Syria relief، 2024-12-15،

<https://2u.pw/Xq5gyMi0>.

كبيراً على حياة مئات الآلاف من العائدين السوريين، وأكد التقرير أن المنظمة لديها حالياً 40 موظفاً، لكنها بحاجة إلى تمويل لتوظيف وتدريب 100 موظف إضافي، مع الإشارة إلى أن عدد ضحايا انفجارات الألغام تجاوز 200 شخص⁽²¹⁾.

- الاتحاد الدولي لجمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر: خصص الاتحاد مليون فرنك سويسري لسورية من خلال صندوق الطوارئ للاستجابة للكوارث، عقب التصعيد الأخير في الشمال. كما قام بإعداد مستودعاته ومراكزه اللوجستية لزيادة عمليات تسليم المساعدات ودعم الجهود الإنسانية في هذا السياق الجديد⁽²²⁾.

تحديات مركبة تعيق الحركة والفاعلية

تصنف التحديات إلى مستويات عدة، جزء منها مستمر من قبل الثورة وخلالها، ومنها مرتبط بمتطلبات المرحلة:

إشكاليات التمويل

- ما يزال هناك غياب لتوجهات تمويلية دولية تدعم دخول المنظمات المحلية إلى دمشق والجنوب، ويرجع ذلك إلى موقف الأمم المتحدة ومكاتبها التي ترتبط بتصنيفات الإرهاب.
- الاعتماد على الموارد المتوفرة والتبرعات الفردية والأهلية يحد من استمرارية العمل وضمان وجود مخزون احتياطي للاستجابة. ومنذ تاريخ 10 ديسمبر، بدأت بعض المنظمات، مثل "بنفسج"، "بنيان"، "ملهم"، و"المنتدى السوري"، بالتوجه إلى دمشق للتنسيق من أجل افتتاح مكاتب لها.

إشكاليات مرتبطة بالاحتياج

- تواجه المنظمات المحلية صعوبة في دخول مناطق الشمال والوسط المحررة وتلبية الاحتياجات الكبيرة فيها، إذ تتطلب هذه المناطق إغاثة عاجلة نظراً لتحررها مؤخراً من سيطرة النظام.
- تعاني دمشق من غياب كامل للجمعيات المحلية باستثناء "الهلال الأحمر السوري"، الذي بدأ توزيع مساعدات محدودة في حلب بعد تحريرها بيومين. كما أطلق حملة طوارئ في دمشق لتقديم الرعاية الصحية والطبية للمعتقلين، ولكن دون وجود أي جهة قانونية أو توثيقية لدعم هذا الجهد حتى الآن.

إشكاليات متعلقة بالتنظيم

- غياب مظلة واحدة أو جهة تنسيقية متوافق عليها من أطراف المجتمع المدني كافة، أدى إلى انغلاق المنظمات على بعضها بعضاً، في ظل تدني مستويات الثقة فيما بينها، خصوصاً بين المنظمات العاملة شمال غرب سورية وتلك التي كانت تحت مظلة الشؤون الاجتماعية والعمل.

⁽²¹⁾ THE HALO TRUST, SO MANY PEOPLE ARE WALKING INTO SYRIAN MINEFIELDS 2024-12-15, <https://2u.pw/2ZNXwxWg>.

⁽²²⁾ الاتحاد الدولي يقف إلى جانب الشعب السوري، الاتحاد الدولي للصليب الأحمر والهلال الأحمر، بيان صحفي، 2024_12_13، <https://2u.pw/0nqxIFje>.

• برزت المبادرات التطوعية المحلية في دمشق في شكلين:

1. جهود شبابية: تنظمها لجان ترتبط بالأحياء وتعمل على تنظيف الشوارع وتحسين البيئة المحلية وهي تشكلت سريعاً وتحتاج هيكلية وتأيير لتحقيق استمرارية في العمل⁽²³⁾.
2. فرق تطوعية سابقة: كانت تعمل سابقاً بتمويل من المنظمات الدولية في دمشق ضمن مشاريع مؤقتة، لكنها الآن تعمل بشكل تطوعي وبإمكانات محدودة. وتقتصر خدماتها الحالية على برامج الدعم النفسي والرعاية الطبية باستخدام الأدوات المتوفرة لديها.

ختاماً

شهد المجتمع المدني في سورية تنوعاً في الشكل والتأثير بين أزمة وأخرى، إذ تطور وتوسع في أماكن، واندثر أو انصهر في أماكن أخرى، وبرز جلياً في بعض الأوقات. ورغم تعثر مسيرته حتى الآن في طريق العمل بشكل منظم وفق خطة استراتيجية ورؤية محلية شاملة، نجد في كل مرة فرصة جديدة لإعادة اكتشاف مساحاته والتعرف على فاعلين جدد انضموا إليه من مسارات متنوعة.

تمكن المجتمع المدني السوري، في معظمه، من ابتكار أشكال جديدة للاستجابة في أوقات الأزمات. ورغم أنه لم يرتق إلى مستوى المشاركة في صنع القرار السياسي، فإنه استطاع سد فراغ الدولة في تقديم الخدمات والتوعية في العديد المناطق الجغرافية. لكن في مناطق أخرى، قيّدت السلطة حركته وصادرت نشاطاته، وطوّعته ليصبح أداة تخدم مصالحها. تجاوز المجتمع المدني السوري - في الجزء الأكبر منه، وهو المنظمات - الثنائية التقليدية بين الدولة والمجتمع، وساهم في تقديم صورة عن سورية بتنوع مناطقها، وابتكر أدوات ومفاهيم خاصة به. ومع ذلك، غلبت عليه سمة التبعية لسياسات التمويل، إما وفق النظرة الدولية للطوارئ والأزمات في دول الصراع، أو لسياسات السلطات المتواجدة على الأرض. ورغم ذلك، ظهرت هوامش محدودة مكّنت من تكييف بعض البرامج الأممية لتلبية الاحتياجات المحلية، بعد صراعات كبيرة بين المنظمات الدولية والمحلية للوصول إلى توازن بين الأجندات الدولية ومتطلبات المجتمع. في المقابل، كانت هذه الخيارات معدومة في مناطق النظام السابق، فقد سيطرت السلطة الأمنية بشكل كامل، وبقبضة محكمة، على المجتمع وأفراده وجماعاته ومؤسساته. ومنذ عام 2011 وحتى عام 2020، غلب الشكل المنظم والجمعي على هوية المجتمع المدني. ومع تراجع المساعدات الدولية وتفاقم الفقر في السنوات الأربع الأخيرة، ظهرت مبادرات أهلية قادها أبناء المناطق من خلال التبرعات والتمويل الفردي لسد فجوات نقص الخدمات وتلبية الاحتياجات المتزايدة. ساهم كل ذلك في رسم مشهد حركية المجتمع المدني إلى جانب وجود أشكال نقابية متفرقة لعبت دوراً محدوداً، بينما تراجعت الأنشطة الثقافية المدنية بشكل ملحوظ حتى كادت تختفي.

وعليه وبعد فهم واقع عمل المنظمات في عموم سورية ينبغي التعامل بجدية وكفاءة مع التحديات المتعددة في المشهد السوري للقيام بأعباء وطنية تساهم في تحسين معدلات الاستقرار والتنمية.

⁽²³⁾ مبادرة فردية لتنظيف شوارع دمشق، تلفزيون سوريا، تاريخ النشر 2024-12-12، تاريخ المعاينة 2024-12-21 <https://2u.pw/3ZD4OPgh>

